قراءة في كتاب " بغداد مدينة السلام "

محمد حسين الأعرجي

صدر في سلسلة "الكتاب للجميع" عن مؤسسة (المدى) كتاب العلامة المرحوم طه الراوي: "بغداد مدينة السلام"، وكان ذلك في شهر حزيران من هذه السنة.
والكتاب، على صغر حجمه، وقلّة عدد صفحاته التي لا تتجاوز المائة صفحة وثلاثاً، طريف في بابه، ممتع. ويزيد من متعة قراءة الكتاب طراوة أسلوب الراوي، وأناقة صياغة جمله.
فقد يدل على الأناقة أنك لا تعدم أن تجد السجع هنا، وهناك، ولكنّه سجع يبلغ من السلاسة، والعذوبة بحيث يسيغه المرء وكأنه جاء عفو الخاطر كنحو قوله على: ٢١".. مع أنه كان يتحلّى بأدب رائع، وفضل ناصع، فضاقت به مذاهبه، وانزوت عنه مطالبه"، ومثل قوله عن خطط بغداد وآثارها على: ٥١ "... تضافرت الخطوب والكوارث على تمزيق أديمها، ومحو قديمها".

وهكذا هو في كل سجعاته سلاسةً لم يشذ إلا في موضع واحد جاء على الصفحة: ٦٤ وهو يتحدث عن المدرسة المستنصرية وما آل اليه حالها: "وهنا وصلت بها الحال الى أدنى دركات الهوان، فرثاها الشعراء المعاصرون رثاء أبكى العيون، فمن ذلك قول... الزهاوي...".
فالمبالغة التي ساقه إليها السجع واضحة، والزهاوي . بركاكة موهبته الشعرية . لا يبكي عين أحد حتى لو رثى سيد الشهداء الحمزة بن عبد المطلب.
وقلت: إن الكتاب قليل عدد الصفحات، ولكنني مع هذه القلّة وجدت الاستاذ الراوي قد قسمه على تمهيد أنعقد على اشتقاق اسمها لغوياً، وعلى بنائها ومبحث تكفل بتعداد "شذرات من سجايا البغداديين وشمائلهم" ثم أتبع ذلك بخلاصة "التاريخ السياسي لبغداد" فوزّعه على أبواب، وفصول ولا أعرف داعياً يدعو المؤلف إلى أن يقسم مبحثاً لا يتجاوز الأربع وعشرين صفحة على أبواب وفصول.
إن هذا التقسيم يليق ببحث واسع يرى فيه الباحث ان هنالك وحدات يمكن أن ينتظمها اسم واحد فيجعل الاسم باباً، وما يقع تحته فصولاً ثم يختار ان يوازن بين الأبواب بناء على عدد فصولها، أو اعتماداً على حجمها من حيث عدد الصفحات. أماما صنعه العلامة الراوي فغريب على المنهج الأدبي.
ولعل لنشأة الراوي الدينية، وتلقيه علوم الشريعةَ على الطريقة التقليدية اثراً في هذا؛ فمعروف أن المؤلف كان رجل دين ثم صار استاذاً في دار المعلمين العالية.
ومهما يكن من أمر فإن أهمية هذا الكتاب تأتي مما سرده المؤلف من معلومات عن بغداد كان قد عاصرها كحديثه عن المدارس على: ٦٦، والجسور والمتاحف على: ٦٦-٦٧، ٦٨-٦٩، ٧٧، وحديثه عن الحمامات العامة على : ٧٨، أما ما تحدث به عن بغداد التأريخية فحديث يكاد يكون معروفاً.
وحسبك من هذا انه تحدث عن خطط بغداد حديثا غائماً لايكاد يدل على شيء لا لقصور فيه . حاشى لله . ولكن لقصور في أدوات المعرفة؛ اذ لم تكن الكشوف الاثرية كما هي في عصرنا اليوم.
ومن هذه الكشوف وسواها استطاع المرحومان العلامتان مصطفى جواد وأحمد سوسة ان يرسما خريطة بغداد المدورة، واستطاع سواهما من عراقيين، ومستعربين وهو مطبوع متداول.
وتحدث عن بعض شمائل بغداد التأريخية وأهلها فوقع في أوهام، مردها . كما يبدو لي . أنه كان يعتمد على ذاكرته في سردها، فمن ذلك ما سرده على: ١٥ فقال: ((... ذكروا أن أحد وزراء العباسيين في العصر الرابع قال في مجلسه: إن هذه الأرقام يعني أرقام عطايا البرامكة من مبالغات الوراقين .. وكان في المجلس أحد الأذكياء فقال له: يا سيّدي لماذا لا يكذب الناس على مولانا الوزير؟ فلم يحر الوزير جواباً)).
وفي هذا القول . إذا تركنا تعيين الوزير من هو وهمان:
الأول أنه لم يقع في العصر الرابع، وإنما في القرن الثالث بسامراء، والثاني أن "أحد الأذكياء" هو الشاعر الظريف القاسم بن خلاد المعروف بأبي العيناء، وكان ثالث ثلاثة يعرفون بشياطين العسكر هم: أبو علي البصير، ومحمد بن مكرم، وهو، وكانوا جميعاً من الكتّاب الشعراء، وكانوا يتهاجون تطرّفاً لا حقداً، ومن ذلك قول أبي علي البصير فيه:

لأبي العيناء أولا
دهم في الناس آيه
فأبو القوم سعيد
وأبو العيناء دايه

ولأبي العيناء ترجمة في أكثر من مصدر، وصدر عنه وعن طرائفه في المملكة العربية السعودية كتاب.
أما النادرة التي رواها الأستاذ الراوي فيغلب على الظن والذاكرة أنها في "جمع الجواهر من الملح والنوادر" للحصري القيرواني.
وكما جنت عليه الذاكرة في نادرة أبي العيناء، جنت عليه في قوله على: ٩٨ "ومن طريف ما يحكى في هذا الباب أن أحد الأدباء وقف عند بعض الشعراء على قصائد يرثي بها رجالاً لا يزالون كذا على قيد الحياة فقال له: ماهذا قال: إنّ هؤلاء لابدّ ان يموتوا ويريد أهلوهم ان نجيد في رثائهم على البديهة وهو أمر صعب، ولذلك أعددت هذه المراثي لهم منذ الآن".
هذا ما ذكره العلامة الراوي في كتابه، أما ما رواه أبو الفرج الأصبهاني في "الاغاني" فشيء آخر هو أنه دخل أبو المستهل على الشاعر سلم الخاسر فرأى بين يديه قراطيس "فيها أشعار يرثي ببعضها أم جعفر، وببعضها جارية غير مسماة، وببعضها أقواماً لم يموتوا، وأم جعفر يومئذ باقية، فقلت له، ويحك ماهذا؟ فقال: تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها، ويستعجلوننا، ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد، فنعد لهم هذا قبل كونه، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه قديماً على أنه قيل في الوقت".
وللقارئ ان يوازن بين الروايتين فيرى أن "احد الأدباء" هو عند أبي الفرج: أبو المستهل، وأن "بعض الشعراء" هو الشاعر العباسي سلم الخاسر، وهو من ملازمي بشار بن برد، وهو الذي باع قرآناً كريماً ورثه عن أبيه فاشترى به طنبوراً فلقب بالخاسر.
وسلم هذا هو الذي يردد الناس صدر بيته المأخوذ عن صياغة بيت بشار الثقيلة:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته
وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

إذ صاغه الخاسر صياغة أخرى فقال:

من راقب الناس مات هماً
وفاز باللذة الجسور

فصار الناس يرددونه، ويكتبونه في صدور حوانيتهم منذ العصر العباسي وحتى عهد قريب.
ومن جنايات الذاكرة الاخرى على الكتاب وهمه في سرد أنساب الناس من نحو قوله على: ٩٢ وهو يتحدث عن المجون: "نعم، لا ينكر ان في أبناء العرب فئة شايعت الموالي... منهم الحسن بن هانئ الحكمي، ودعبل الخزاعي، وابن سكرة الهاشمي".
ومعروف ان ابا نواس الحسن بن هانئ فارسي، وليس من أبناء العرب، فما معنى عده . لولا جناية الذاكرة . من أبناء العرب؟
وكما نجد جناية الذاكرة على الأنساب نجدها . أحياناً . تجور على الأسماء، فمن هذا الجور قوله في موضعين هما: ٣١، ٨٣ عن القاضي أحمد بن دواد الكاتب أنّه أحمد بن داود الكاتب.
ومن جناية الذاكرة قوله على: ٨٩ "ثم جاء الشريف المرتضى علي بن الطاهر..." والمعروف ان الصواب هو: الشريف المرتضى علي بن الحسين.
اما ذكره الحمدوي على أنه الحمدوني على: ٩٧ فهو وهم قديم؛ اذ الصواب ان يقال: الحمدوي؛ لانه منسوب الى حمدويه صاحب الزنادقة في عصر المهدي، وليس الى حمدون النديم، فلماذا يكون الحمدوني؟
انه التحريف ولا شيء سواه.
أما أنّ أبا الفرج الأصبهاني كان قاضياً كما جاء على : ٨٩ فهذا ما لا أعرفه الى اليوم، وعدم عرفاني لا يعني الصواب، ولا يعني انه لم يكن، ولكن كل ما أعرفه أنه كان من ندامى الوزير المهلّبي، وأنّه كان ينادم الوزير مع قضاة طوال اللحى مثل ابن قريعة، والايذجي وسواهما فكان كل منهما ينقع لحيته بالخمر، ويرشها على أصحابه وهو يقول . كما يروي ياقوت الحموي .: هرِ، هر.
بقي شيء لابد من ان أقوله هو أن الكتاب . رغم هناته اليسيرة . جميل طريف، ولكن كانت به حاجة إلى ان يحال الى من يكتب له مقدمة تعرف بالمؤلف، ويوثق نصوصه في الهوامش.

أمسية احتفائية في البيت العراقي

حفل توقيع كتاب " الجرافات لا تعرف الحزن " للكاتب المسرحي قاسم مطرود

متابعة :
ألوام سومرية معاصرة

أُقيمت في لاهاي بهولندا يوم السبت ٢٥- ٦- ٢٠٠٥ على قاعة البيت العراقي، أمسية ثقافية تمّ فيها تسليط الضوء على مسرحيات الكاتب قاسم مطرود الذي وقّع كتابه الجديد في نهاية الأمسية.. افتتح الأمسية السيد عبدالرزاق الحكيم رئيس جمعية البيت العراقي مرحبا بالحضور وبالمحاضرين، متمنيا للجميع أمسية حافلة في سلسلة أنشطة البيت العراقي المتنوعة.
انطلقت الندوة بإدارة الدكتور تيسير الآلوسي الذي افتتح التداخلات بكلمة قصيرة قال فيها: اسمحوا لي أنْ أرحّب بكم في ضيافة عالم المسرح والمسرحية وضيافة خيمة الأجواء الأكاديمية التي أعود إليها اللحظة هذه معكم في سفر الحوار مع المحتفى به بهذه الجلسة الكاتب قاسم مطرود وكتابه "الجرافات لا تعرف الحزن"...
بعدها طلب من الكاتب جاسم المطير تقديم كلمته التي قال فيها إنه لم يهوَ يوما قراءة نص مسرحي بقدر ما أحب أن يراه على خشبة المسرح، ولكنه حين قرأ نصوص قاسم مطرود وجد فيها الشعر والشاعر وما جذبه لكي يستمتع ويكمل مسرحية وهو يقرأها.. وقد استطرد يقول إن مطرود يكتب من عالم الروح وإليها في أجواء واقعية تماما يخلق فيها وعبرها شخوصه العراقية ومسرحياته المنطلقة من أجوائها العراقية..
بعدها قدّم مدير الندوة عرضا في السيرة الذاتية للكاتب المسرحي الذي أخرج عددا من المسرحيات وتخرج في معهد الفنون ثم في كلية الفنون الجميلة بغداد ودرس إعداد وإخراج البرامج التلفازية في أكاديمية هلفرسوم كما كتب مسرحيات وطبع عددا منها فحاز الشهادات التقديرية والجوائز العديدة في العراق وخارجه...
وأحال الكلمة إلى الفنان رسول الصغير الذي استذكر أول لقاء له مع مطرود عندما كانا شابين يافعين وتحولت الكلمة إلى المخرجة الهولندية آنّا ماريا التي تعكف على قراءة مسرحية (نشرب إذن)! فقالت أنها بحاجة لمزيد من الجهد لكي تصل إلى ذاك الغنى الموجود في مسرحية مطرود وهي تنطلق من حالة التعايش مع الآخر والتفاعل معه والبحث عن كنه القيم الإنسانية الموجودة في النص..
وبعد أسئلة وحوارات مع جمهور الحاضرين أعلنت إدارة الجلسة استراحة قصيرة.. لم تتوقف فيها المناقشات الساخنة حول نصوص السيد مطرود...
وشُرع بمعزوفة الأمسية في قسمها الثاني حيث قدم الدكتور تيسير الالوسي تحليلا متخصصا في تجربة الفنان المسرحي قاسم مطرود فقال: إنّ الاحتفاء بمناسبة صدور كتاب " الجرافات لا تعرف الحزن" عن اتحاد كتاب وأدباء الإمارات هو كاحتفال العرب في أمسهم عند ولادة شاعر.. واشار إلى أن مطرود لم يولد من فراغ في فضاء المسرح العراقي فقد كانت لنا مسرحية سومرية استعادت وجودها عبر تاريخ متسلسلٍ من التطور الحضاري المعبر عنه بفن المسرحية وإن بأنماط المناظرات والحوارات حتى بدأت عروض المسرح منتصف القرن التاسع عشر ليولد أول نص مسرحي العام ١٨٩٢ وليشهد المسرح العراقي عددا من ابرز المسرحيات في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي مع انطلاقة أخرى في خمسينياته على يد كتّاب الدراما المعروفين حيث كتب يوسف العاني أولى مسرحيات اللامعقول العام ١٩٤٩.. وقبل عقدين من اليوم كان تأثير السلطة يكمن في الدفع نحو ما يُسمى بالمسرح التجاري على طريقة برودواي ولكنه في الوقت ذاته داب المسرح العراقي حسب جذوره على تبني طريق الإبداع الفني الراقي المعبر عن القيم الحضارية الكبيرة..
من هذا العالم ومن هذه الجذور وُلد قاسم مطرود ولهذا فنحن نقرأ له نصوصه بفنيتها العالية وببنائها الدرامي المتميز.. نعم يمكن أن نقول بطليعية المسرحية وباتخاذها من العبث أو اللامعقول مدرسة بنائية ولكنه لا يلتزم المذهب المسرحي حرفيا ولا يتوقف عند تلك الخصائص بطريقة جامدة بل يتخذ منها أدوات تغتني بعمق ما يمنحها من محمولات فلسفية بسبب من تركيز مسرحيته على الكثافة وعلى شعرية الأداء فضلا عن تركيزه على الثيمة قبل الشخصية التي تأتي مبنية بطريقة الشفرة الرمزية، ولأن تجميع العبثي والرمزي ليس كميا ولا آليا مجردا فإننا قد نفهم بعض رسائل مسرحية مطرود من عمقها التعبيري ما لا يقبل لمخرج ما أن يقدم المسرحية بطريقة المسرح الفقير ومن دون مراعاة أهمية جدية للتقنيات المسرحية في تقديم تلك اللغة الكثيفة للنص بصريا...
وبعامة تشكل المجموعة المسرحية المنشورة في "الجرافات لا تعرف الحزن" مجموعة متناسقة وإغناء لمسيرة المسرحية العراقية والنصوص المبدعة التي تنتظر المعالجات النقدية المتخصصة والمخرجين الذين يقدمون لنا أفضل المسرحيات الجادة الممتلئة بالهم الإنساني الرحب..
أما قاسم مطرود فقد أجاب على عدد من أسئلة الحضور وشكر تداخلاتهم مؤكدا حرصه على التأني في كتابة النص بما يجعله يأتي ناضجا مستوفياً لشروط وجوده المسرحي الحقيقي.. وكان من أسئلة الجمهور سؤال عازف السنطورالأول وسام العزاوي عن دور الموسيقا في تقديم نص قاسم مطرود بخاصة وهو النص الممتلئ بشاعريته وغنائيته؟ فيما تساءل الشاعر ناجي رحيم عمّا إذا كان مطرود يكتب النص شعرا في البدء وقرأ بعض مقاطع من الجرافات بوصفها مادة شعرية في إيقاعاتها وتكويناتها وهو ما أكده الشاعر حميد حداد وإن عرّج على القيم الدرامية لنص قاسم مطرود مبتعدا به عن التوقف شعريا.. وتمنى السيد عبدالرزاق الحكيم للمبدع مسيرة حافلة متسائلا عن تصوره لوسائل دعم المسرحية وتطور كتابتها فنيا.. وكان للشبيبة حضورها وحيويتها فسأل إيفان تيسير عن أدوات مطرود لمعالجة مضامين مسرحيته وما إذا كان يفضل أن يُقدّم بصريا أم بالمحافظة على نصه ومفرداته وعباراته الشعرية؟ وما إذا كان أحب إليه أن يقدّم بوصفه مسرحيا أم بوصفه شاعرا؟
وفي اختتام الأمسية التي دامت أكثر من ثلاث ساعات أشار الدكتور الآلوسي إلى ضرورة مواصلة مثل هذه الأمسيات سواء منها الاحتفائية التكريمية أم الثقافية العامة بخاصة ونحن نعاني أزمات خانقة بسبب من حال الانقطاعات السلبية عن إقامة مثل تلك الملتقيات بغاية تعزيز حيوية اللقاء الثقافي والإفادة من جمالياته وغناه الفكري وأنسنة حياتنا وقيمها العقلية والجمالية المتحضرة.. ثم تلا رسالة تحية وتكريم من رابطة بابل للكتاب والفنانين الديموقراطيين العراقيين في هولندا للكاتب قاسم مطرود وتم توزيع باقات الورود على المشاركين وتوقيع كتاب الجرافات لا تعرف الحزن وتوزيعه...

الشعر والموسيقى .. في أتحاد ادباء البصرة

البصرة /
عبد الحسين الغراوي

ضمن المنهاج الثقافي الاسبوعي للجنة الثقافية في اتحاد ادباء البصرة، القى الكاتب والباحث عبد الغفور نعمة محاضرة بعنوان (الشعر والموسيقى) اشار فيها الى ان اولى المحاولات بازالة الفواصل بين الفنون والاداب حصلت في العصر الرومانتيكي وكانت مكانة الموسيقى موجودة عند الشعراء لا عند الفلاسفة، فمناهج الفلاسفة قادتهم الى التفرقة بين الفنون لاسيما انهم منحوا الموسيقى منزلة ادنى بين الفنون. وبالرغم من اعتراف كانت بقدرة الموسيقى على تحريك الروح ون اثرها يفوق الشعر الا انه ظل يصرح بان الموسيقى متعة اكثر منها شيء خاص بالعقل. ويؤكد النعمة ان (روسو) اكد ان الموسيقى نبعت من اللغة وان الاختلاف الوحيد بين الكلام المنبعث في حالة الانفصال الشديد وبين (الميلودية) يرجع الى ديمومة الانغام في زمان محدد. في حين ان (هيجل) يفضل الغناء على موسيقى الآلات، ولم تعد الموسيقى الا مجرد حركة تعتمد على الشكل. وبدلاً من العقلانية ظهرت الغيبية التي عدت الشعر والموسيقى ذروة الفن فزالت الحدود الفاصلة بين الفنون والاداب المختلفة، وقد اكد (جوته) . الذي كان يقدر الموسيقى ويعدها اكتمال الشكل والجوهر - على ان تستعين الموسيقى بالشعر والقصة وان يستعين الشعر والقصة بالموسيقى.
وبين الباحث: اذا كانت الموسيقى تعتمد الخيال كجزء عظيم من عملية الخلق والتشكيل فان الخيال يؤثر عميقاً في عملية الاستحضار والاستفهام والشعرية. والموسيقى تشترك مع الشعر بعناصر الايقاع وحرية التشكيل.. والموسيقى اقرب الى الشعر منها الى الرواية في اعتمادها الدوافع الذاتية في الابداع . واذا كان فن الرسم اكثر الفنون سرعة في التأثير في المتلقي بسبب شكل اللوحة قياساً بزمن استيعاب الموسيقى والشعر. كما ان الشعر يشترك مع الموسيقى في احتياجهما الى زمن معين قد يطول بسبب الايحاء المقصود وغير المقصود لدى السامع والقارئ. والموسيقى تتحرك ضمن الزمن كما اوضح (ارسطو) هذا فضلا عن ان للشعر والموسيقى مهمة اساسية واحدة هي تقديم التأثيرات للمتلقي وليس الوصف العام الاعتيادي. ويرى الباحث عبد الغفور النعمة . ان الشعر، وبالتحديد الخيال الشعري وروح الموسيقى، يلعب دوراً كبيراً في الاعمال الموسيقية التي تعتمد في مواضيعها على القصائد الشعرية. ثم تطرق إلى العلاقة الجدلية بين الموسيقى والشعر وتأثيرهما على بعضهما مثل الموسيقى الوصفية او التصويرية او البرنامجية (بروكرام ميوزك) وهي عبارة عن مزج بين فن الموسيقى والادب . مستعرضاً تاريخ الموسيقى الوصفية منذ عصر الرومانتيكية وانتشرت بكثرة اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين. وذكر ان من الموسيقيين الذين مارسوا تأليف القصائد السيمفونية هم (سان سان) و (ريتشارد شتراوس) و (بول دوس) و (موزرسكي) و (بوردين) و (بالا كيرين)، مشيراً الى ان النقد الموسيقي لا يهتم بالقيمة الادبية للنص الموسيقي اذا لم يكن بناؤها الموسيقي متيناً والحانها حلوة رائعة، ذلك ان العمل الموسيقي كأي عمل فني اخر كالرسم والنحت والعمارة والمسرحية لابد من ان يكون لها كيان متناسق متوازن.. وكثير من الموسيقيين استوحوا من الشعر الحانهم، وبالمقابل الكثير من الشعراء حاولوا ان ينقلوا عن طريق الكلمات حلماً هو في الحقيقة حلم موسيقي.

فاصلة

حرب الملابس

محمد جاسم طالب من مدينة النجف اعتقلته الشرطة مع زملاء له لانهم كانوا يرتدون ملابس الجينز، في موجة اعتقالات حدثت منذ مدة في المدينة التي تعد القلب الروحي لمسلمي العراق. حكاية محمد وزملائه دفعت البعض الى اعادة النظر في فلسفة الزي الذي يبدو انه دخل في معركة الافكار في العراق هذه المرة. وحال الزي حال الكثير من الاشياء التي تستغل في معركة العنف الرمزي. وكيف ان الآباء يمارسون هذا العنف على الابناء من خلالها عندما يعترضون على طبيعة ملابسهم التي هي جزء من هويتهم الشخصية. هذه الملابس ذاتها سلطة من السلطات يتمتع بها غيرهم عند ارتدائها ان كانت ذات طبيعة دينية ام تراثية أم تاريخية. مع انها - أي الملابس - لا تتعلق بالجوهر الانساني والسريرة البشرية التي هي من شأن الخالق سبحانه. والمشكلة هنا ان الجينز لم يعجب البعض من رجال الشرطة في النجف من الذين أمليت عليهم فكرة مستوردة تذكر بفكرة صبغ الاذرع المكشوفة للرجال في الصيف في بعض البلدان الاسلامية، وبعد هذا بطلاء سيقان الفتيات في فتوى لطلفاح في سبعينيات بغداد، ليزجوا الملابس هذه المرة في معركة مفتعلة لفرض زي واحد على ابناء المدينة الذين عانوا طويلا من الزيتوني، وان اختلفت املاءات الشفرة هذه المرة. تذكرني حادثة محمد جاسم هذه بكلام للمفكر السعودي عبد الله الغذامي الذي ظهر على شاشة الفضائية العربية في حوار عن مسار الحداثة في السعودية عندما قال: ما الذي يتغير من جوهر الخطيب لو اعتلى بعض الخطباء المنبر وهو يرتدي البنطلون؟ فأجاب تركي الدخيل مقدم البرنامج: لا شيء.. هو.. هو. فقال الغذامي: طيب سألت بعض الخطباء عن زيهم هل هو ذاته الذي كان يرتدى ايام الاسلام المبكر، فقالوا لا . فقال الغذامي انها امور شخصية لا تشكل خطرا على المجتمع فلماذا هذا التزمت.. فالزي لا يدوم حاله حال صروف الدهر والازياء تجري لأمد معلوم ثم تمضي وتبطل ويحل محلها زي آخر. أما الجوهر البشري فباق.
الشباب المساكين لدينا لا خيار لديهم سوى بنطلون الجينز من حيث المتانة ومواكبة الموضة، وقد اكتسب هذا الجينز شرعية طيلة عقود من الزمن وعلى مرأى ومسمع السلطات الاجتماعية الدينية والسياسية، ولم يحدث ان تم الاعتراض عليه.
اما علماء النفس والاجتماع. فتحدثوا عن الأمر من زاوية ثانية، ورأوا ان نمطا من الملابس يعبر عن سلطة ما ونمطاً اخر يعبر عن نبرة احتجاجية، وآخر يعكس رغبة الانسان في اضفاء مسحة الفردية والتميز في السلوك. ولما كانت الظروف الحالية في العراق ذات طبيعة اضطرارية، فان محمد جاسم وأصدقاءه، ارتدوا ماهو دارج من الزي، بفهم ان الاهتمام جرى باتباع العرف الأصلي في اختيار الألبسة وتبين من عدة بحوث ميدانية اعتمدت على المسح ان ثلاثة أرباع الرجال والنساء اجابوا انهم يتبعون الزي الدارج كيلا يلفتوا الانظار بنية المحافظة على هوية المكان الذي ينتمون اليه من جهة، ولعدم قدرتهم على مواكبة الموضات الحديثة لغلاء أسعارها، مع وجود ميل الى الامتياز وذلك بان يكون اللباس معبراً عن ذات الشخص وفرديته وبذلك لابد من ان يتصل الزي برغبة التجمل وعرض الزينة ولفت الأنظار.
محمد جاسم الذي نقلت عنه احدى الوكالات قوله: ان الشرطة اعتدت عليه بالضرب هو وزملاء له امام الناس ثم اقتادوهم الى مقر الشرطة واعتدوا عليهم بالضرب مرة اخرى ومزقوا ملابسهم وزادوا على ذلك بحلق رؤوسهم، وهذه حكاية أخرى. وطبقا لأقوال شهود عيان ان الشرطة مزقت الملابس كونها من الجينز، مع أن القانون والشرع لا يمنعان لبس الجينز، لكن شرطة النجف تصر على ان الجينز لا ينسجم مع اجواء هذه المدينة. الامر الذي دفع عددا كبيراً من الشباب في المدينة الى شراء ملابس جديدة وقصوا خصلات شعورهم خوفا من العنف الذي يرتكب هنا وهناك ضد اقرانهم. ويتساءل الأهالي في النجف عن أحقية صلاحيات اجهزة الشرطة في هذا التدخل في الحريات الفردية في وقت تقوم فيه الدنيا هذه الايام حول دستور يكفل هذه الحريات. ويميل الأهالي الى الاعتقاد ان رجال الشرطة في النجف يتصرفون شخصياً في هذه المسألة التي تعد خرقا لحقوق الانسان وتدخلاً في الحريات الفردية الدارجة. فالجينز ليس من مكتشفات هؤلاء الشباب. وتم ارتداؤه في ظل كل الأنظمة: ألدينية مثلما هو حاصل في جمهورية ايران الإسلامية التي تسمح بارتداء الجينز لكلا الجنسين شرط ان يغطى الجزء العلوي منه بالنسبة للنساء. وفي ظل الانظمة الدكتاتورية كما كان حاصلاً في العراق أيام صدام حسين، وفي ظل الأنظمة الملكية كما هو الحال في الأردن والمغرب وغيرها من البلدان.

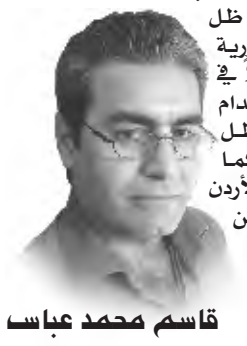

قاسم محمد عباس
qassm950@yahoo.com